

مناهل العرفان في علوم القرآن

أما ما زعموه من أن ذلك كان نتيجة لاختلاط محمد بأهل المدينة المستنيرين فينقضه أن القرآن جاء يصلح عقائد أهل الكتاب وأخطاءهم في التشريع وفي التحليل والتحريم وفي الأخبار والتواريخ فكيف يأخذ المصيب من المخطئ وهل يستمد الحي حياته من ميت اقرأ إن شئت قوله تعالى قل يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم 3 آل عمران 64 الخ . وقوله جل ذكره يأهل الكتب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التورة والإنجيل إلا من بعده 3 آل عمران 65 الخ .

وقوله عز اسمه كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة 3 آل عمران 93 الخ . وهذه الآيات من سورة آل عمران . وقوله تعالت قدرته من سورة المائدة وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف 5 المائدة 45 الخ .

ثالثا أن ما زعموه لو كان صحيحا لظهر أثر أهل الكتاب المدنيين فيمن معهم من عرب أهل المدينة وفيمن حولهم من أهل مكة وآفاق الجزيرة ولكانوا هم الأحرى بهذه النبوة والرسالة ولسبق محمدا إليها كثير غيره من فصحاء العرب وتجار قريش الذين كانوا يختلطون بأهل الكتاب في المدينة والشام أيما اختلاط .

رابعا أن القرآن تحدى الكافة من مكيين ومدنيين بل من جن وإنس فهلا كان أساتذته أولئك يستطيعون أن يجاروه ولو في مقدار سورة قصيرة واحدة يا لها فرية ثم يا لها صفاقة . هذا كلام له خبيث ... معناه ليست لنا عقول .

الشبهة الرابعة .

يقولون إن القرآن أقسم كثيرا بالضحى والليل والتين والزيتون وطور سينين وكثير من المخلوقات .

ولا ريب أن القسم بالأشياء الحسية يدل على تأثر القرآن بالبيئة في مكة لأن القوم فيها كانوا أميين لا تعدو مداركهم حدود الحسيات .

أما بعد الهجرة واتصال محمد بأهل المدينة وهم قوم مثقفون مستنيرون فقد تأثر القرآن بهذا الوسط الراقى الجديد وخلا من تلك الأيمان الحسية الدالة على البساطة والسذاجة . وهذه الشبهة مدفوعة أولا بما قدمنا من أن أهل مكة كانوا أرقى ذوقا وأعلى كعبا وأعظم ذكاء من أهل المدينة وأن الخطاب معهم كان ملحوظا فيه اشتماله على أسرار وخصائص لا

يدركها إلا المتفوقون والمتمهرون في صناعة البيان .

فلا يستقيم إذن ما زعموه من أن مدارك أهل مكة كانت لا تعدو حدود الحسيات .
والتاريخ خير شاهد وأعدل حاكم بامتياز العرب في مكة عن سائر القبائل على عهد نزول
القرآن